

مقدمة

هل من (المعقول) أن نأخذ الحكمة من أفواه المجانين ؟ !

قالوا إن الحكمة هي ضالة المؤمن ، والمؤمن يحرص على جمع الحكم من أين يجدها يأخذها وكان يطلق على سيدنا لقمان (الحكيم) لما قدمه لابنه من مواعظ .

وفى الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن الذى أوشك على الانصرام كان يطلق على الصيب (الحكيم) لما يتمتع به من فضل الله من حكمة عند تشخيصه للمرض وتوفيقه للعلاج المناسب .

والأمثال عامة تراث قومى نعتز به (نعتز به كل الأمم) ولا تفوتنا مناسبة إلا واستعنا ببعض هذه الحكم .

والحكمة هي كل ما يتصل بالعادات والتقاليد والأقوال السائرة والعبارات النادرة فهي تعبر عن خبرات الحياة أو بعضها على الأقل مباشرة فى صيغة تجريدية . وأنه ليس من قبل الصدفة أن ينسب أمثال هذا النوع إلى الحكماء والفلاسفة الذين وهبوا المقدرة على التعبير التجريدى^(١) .

وترجع الحكم العربية الجديدة إلى القصاصيين والمؤددين الذين كان من وظيفتهم تسلية المحيطين بهم وتقليهم بالقصص الخرافية والحكم المرتجلة التى هى تعبيرات صائبة عن بعض خبرات الحياة .

وكان همهم أن يوقفوا تلامذتهم على حكمة الحياة فى عبارة مفهومة واضحة^(٢) وإطلاق الحكمة مجهولة القائل أعطاها فرصة للإبانة بحرية وأعطاها صراحة أوسع .

(١) زلايم رودلف .

الأمثال العربية القديمة ط ٤ ترجمة رمضان عبد التواب . القاهرة ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٧ .

(٢) المرجع السابق .

وفلسفة الحكمة والمثل لا تتناول قضايا ذات أبعاد وتفاصيل وعلاقات بل تقترب من أن تكون اختصاراً لموقف معين من خلال الحكم عليه^(١) .

والمثل قول مأثور يمتاز بالإيجاز وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة وهو مثال للجملة العربية فى أسمى أشكالها .

رأى نيل مورد قيل فيه .

أولاً سواء كان حقيقة أم فرضياً (مضرب) .

وهو ما يقال فيه بعد فالغرض منه تشبيه الحالة الثانية بالأولى ليزيد الكلام قوة ووضوحاً^(٢) .

المثل معنى المماثلة :

ومعنى المثل والنظير ، وهى سمات المقارنة التصويرية .

اشتقاق كلمة المثل شئ أكثر من التمثيل ومعناه تشبيه شئ بشئ .

والأمثال هى الحكمة الناتجة عن التجربة .

والتعبير بالمثل كناية بطريقة غير مباشرة إذ لم تأخذ الكناية معناها الاصطلاحي فى علم البيان لأنه ليست كل الأمثال تصاغ فى أسلوب الكناية .

فالتعبير غير المباشر يصاغ فى كثير من الأمثال فى أسلوب التمثيل والتعبير (إيجاز اللفظ) تعبیر مصيب ، لأن التعبير بالمثل عن تجربة أو موقف معين أسهل فى الصياغة من الناحية اللغوية - وأكثر اختصاراً من التعبير التجريدى المباشر الخالى من التصوير .

* المثل ما ترضاه العامة والخاصة فى لفظه ومعناه حتى ابتذلوه فيما بينهم وفاهوا به فى السراء والضراء ، وهو أبلغ من الحكمة .

(١) محمد إبراهيم أبو سنة .

فلسفة المثل الشعبى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ .

(٢) فاطمة محجوب ، دائرة معارف الشباب ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٢ .

(*) الأمثال العربية القديمة تأليف ، رودلف زلايم وترجمة رمضان عبد التواب ط ٤ ، القاهرة ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٧ .

ويتحدث الفارابى عن التأثير النفسى للأمثال ، لأن المثل يتحدث عن الحاجة الشخصية فى ثوب إنسانى عام . ولهذا يشعر بها كل فرد على سواء ، مع إبراز السمة اللغوية الفنية التى يمكن أن تكون للأمثال . وهذا يدل على الاستحسان العام الذى تلقاه الأمثال بين الناس .

* يقول المرزوقى (المثل جملة من القول مقتضبه من أصلها أو مرسله بذاتها فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول فتنتقل كما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها فى لفظها .

وتأتى بعض الأمثال بحالها ثم تأتى بعكسها ولكل واحد منهما مقام يضرب فيه وهناك عبارات شائعة ولكنها لا ترقى إلى مستوى المثل والحكمة كما توجد أيضاً عبارات مشهورة تستخدم ولكن ليس بالمعنى المفهوم للحكمة والمثل - مثل - قميص عثمان ، عصا المعز .

وقد أوردت بعض الأمثال دون شرح لوضوح معانيها .

الأمثال تعبير أدبى عبر به الإنسان عن تجربة عايشها أو خبرة اكتسبها من خلال ممارسته اليومية للحياة ، بجانب أنها تعبير عن رؤية فكرية وموقف معين من الحياة عبر فيه الإنسان بعبارة أدبية موجزة ، حيث أن الطابع الأساسى لشكل التعبير فى الأمثال هو الإيجاز اللغوى .

وتعبر الأمثال - بتنوع مجالات استخدامها وتعدد صيغها - عن التجارب والأفكار والمشاعر الإنسانية والانفعالات النفسية آصديق تعبير تبعاً لتعدد مجالات التصور الذهنى وتنوع حالات الإنسان إزاء المتغيرات التى يواجهها فى حياته . وسواء كان هو موضوع المثل وصاحبه أم شاهد المثل ومردده .

والأمثال بطبيعة تكوينها - كشكل من أشكال التعبير عن المجتمع - تنعكس عليها عادات الشعوب وسلوكها وأخلاقها وتقاليدها^(١) .

الأمثال بطبيعتها الأدبية والفنية - تعبر فى صدق تلقائى ووضوح فكرى عن موقف الإنسان إزاء تجربة الحياة ، تتلاقى فيها خبرات الماضى ورؤى الحاضر مع استشراف مستقبل لآحداث الحياة .

(١) أبو منير مؤرخ بن عمرو السدوسى - كتاب الأمثال

تحقيق رمضان عبد التواب . القاهرة ، الهيئة ، ١٩٧١ .

وتتميز الأمثال العربية خاصة بأنها تجمع في بنيتها الثقافية الحية وبنائها اللغوي بين مقولات متوارثة منذ قرون ، ومقولات صدرت عن وجدان الإنسان العربي وفكره على مر حقب الزمان وإتساع رفعة المكان في تواصل ثقافي^(١) .

وقد تعتمد بعض الأمثال على استخدام فنون البلاغة والبيان في اللغة واستخدام المحسنات البديعية من سجع وجناس وطباق .

وتتسم الأمثال عادة بجرس موسيقى وإيقاع صوتي خاص يرتبط بموضوع المثل كما تقوم الأمثال برصد المتناقضات التي تشتمل عليها أنماط السلوك البشري أو التقابل في مسميات الأشياء والتعبير عن ذلك كله بعبارات موجزة واضحة . ويتميز المثل بإيجازه الشديد فيعبر عن الحدث أو التجربة أو الحكمة والموعظة التي يتناقلها في عبارة موجزة محددة باعتبار أن خير الكلام ما قل ودل .

قال اعز من قائل

﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ﴾

وكثير من الآيات القرآنية العظيمة جارية مجرى الأمثال - مثل :

الآن حصص الحق

لكل نبياً مستقر

ما على الرسول إلا البلاغ

يحسبه الظمان ماء

ولا ينبئك مثل خبير

ضعف الطالب والمطلوب

لكننا في هذا الكتاب لن نتعرض لمثل هذا . فقد تناوله العلماء الأجلاء بكثير من التفصيل في مراجع شتى - وكذلك الأحاديث القدسية - والأحاديث النبوية الشريفة وهناك أقوال مأثورة : منها كلام سيدنا على كرم الله وجهه (لو كان الفقر رجلاً لقتلته) .

(١) أحمد البشر الرومي - الأمثال الكويتية المقارنة ، تأليف أحمد البشر وصفوت كمال ، الكويت ، وزارة الإعلام ، مركز رعاية الشؤون العشرية ، ١٩٨٠ .

وقد ركزنا على الأمثال العربية نعنى بها باللغة الفصحى بعيداً عن العامية إلا فى القليل النادر كأن يكون المثل فصيحاً ثم يحور إلى العامية - مثلاً : سلقط وملقط .

وكذلك لم نورد من الأشعار إلا ما هو ضئيل الذى أصبح شهيراً مضرب الأمثال .

وجدير بالذكر هناك من الأمثال الأجنبية التى دخلت على اللغة العربية وامتزجت على السنة أهلها مثل :

المثل الفرنسى .

(عند الجريمة أبحث عن المرأة) Cherchez la Femme

والمثل الصينى

(ان رحلة الالف ميل تبدأ بخطوة)

والمثل الروسى :

(لا تبصق فى البئر فقد تشرب منه يوماً)

وتأتى بعض الأمثال بحالها ثم تأتى بعكسها ولكل واحد منهما مقام يضرب فيه وتوجد تعبيرات شائعة ولكنها لا ترقى إلى المثل أو الحكمة رغم تداولها مثل :

(وراء كل رجل عظيم امرأة)

منذ نعومة أظفاره

زرّ للرماد فى العيون

وهكذا تظل الحكم والأمثال معينا لا ينضب لمن يريد دراسة المجتمع أو العادات الشعبية عند أمة من الأمم . كما لا يصح أن نجهد أنفسنا بتحديد الأمثال مكانياً وزمانياً وعلى الأخص بالنسبة لخصائص الشعب العربى التى لا يمكن إدراك الكثير منها وتستمر الأمثال تعكس حكمة الشعوب وحمقاتها كما تعكس شجاعتها وجبنها .

وما برحت الأمثال ودراستها نزهة فى حدائق الماضى وهى نزهة تصلح لإلقاء الضوء على الحاضر وربما أيضاً تثيره .

فما أكثر الأمثال فى لهجة التخاطب ، وما أشد شغف بعض الناس بها فهى زينة الكلام تزيد عليه وتكسبه بلاغة وقوة تعبير وإيضاح قد استمدوها من معين حياتهم^(١) .

تستحق الأمثال دراسة متأنية لا لأنها تعبر عن أفكار منسقة ما تزال حية فى الممارسات وإنما تمثل نظرة أولئك الذين يتخدمونها تمثل فلسفتهم فى الحياة العملية ومبادئهم فى السلوك .

Proverbs are the adornment
of Speech.

وأخيراً وليس آخراً فالأمثال زينة
الكلام ومصابيح الأقوال وحكمة الأجيال
لما تحملها من معانى وحكم بالغة .

(١) فوزى العتيل

بين الفلكلور الشعبى . القاهرة ، الهيئة ، ١٩٧٨ .